الفصل الاول

التطور التاريخي لعلم النفس

وان حركة تطور كل علم هي حركة صراع فكر قديم وفكر جديد فكر قديم نابع من ظروف اجتماعية وجغرافية مرتبطة بزمانها وظروف فكر جديد هو تعبير عن الواقع الاجتماعي والمعرفي المتغير وكان تاريخ الصراع بين الاثنين القديم والجديد هو تاريخ تطور العلم.

ان تاريخ علم النفس يعود الى تاريخ الانسان على الارض فالانسان البدائي حاول تغير سلوكه من خلال ملاحظة التغيرات الشعورية والجسمية التي تطرا عليه في مواقف واحوال مختلفة فوصفها بالحب والكره والغضب والغيرة والجبن والشجاعة وبالامكان تقسيم المراحل التي مر بها علم النفس الحديث عبر التطور التاريخي الى:

اولا: مرحلة الافكار البدائية:

كان الانسان قديما يفسر الظواهر الطبيعية والسلوك الانساني على اساس افتراضي مؤداه ان هناك ارواح هي التي تؤدي الى احداث تللك الظواهر فهي التي تحدد جهة الرياح وشدتها وهي التي تسبب البرق والرعد وهي التي تجلب الخير والشر

اما المصريون القدماء فقد كانوا يعتقدون بوجود كائن صغير يسكن جسم الانسان وان هذا الكائن هو المسؤول عن سلوكه وتصرفاته وهو الذي يفرح ويغضب ويحزن وان هذا الكائن يمكن ان يكون خيرا او شريرا وانه اذا ترك الانسان فان الانسان سيموت ،ان هذه المفاهيم بنيت اساسا على تأملات بدائية انبثقت من طبيعة المجتمع البدائي فهي خالية من أي منظور فلسفي او علم.

ثانياً: مرحلة الفلسفة:

تعد الفلسفة ام العلوم وذلك لان جميع العلوم وبضمنها علم النفس كانت منطوية تحت لواء الفلسفة وان ابرز ما يميز علم النفس خلال هذه المرحلة هو بحثه عن ماهيه العقل والروح والعلاقة بينها وبين الجسد.

ونظرا لأهمية هذه المرحلة في تطور علم النفس فأننا يمكن ان نقسم هذه المرحلة الى ثلاث مراحل هي :

أ- الفلسفة اليونانية :

ان الفلاسفة اليونان كانوا يعتقدون ان العالم الخارجي المحيط بهم يتكون من اربعة عناصر اساسية هي الماء والهواء والتراب والناء ، وبذلك جعلوا للإنسان اربعة امزجة ان الفلاسفة اليونان قد وجهوا اهتمامهم وعنايتهم الى فهم العالم وتفسيره المادي اكثر من عنايتهم بمعرفة الانسان والطرق التي يتبعها في تفكيره وشعوره وانفعاله ومن الفلاسفة الذين اهتموا بدراسة الانسان نذكر منهم:

أفلاطون:

يعد من اشهر الفلاسفة اليونان فما زالت آراؤه موضع اهتمام الباحثين في التربية وعلم النفس وان من اهم ما جاء به أفلاطون هو تقسيمه النفس الى ثلاثة أقسام هي النفس العاقلة والنفس الغضبية والنفس الشهوانية ،ويرى ان النفس العاقلة فضيلتها الحكمة أما النفس الغضبية فأن فضيلتها الشجاعة ورذيلتها الجبن أما النفس الشهوانية فان فضيلتها العفة ومن آرائه خلود النفس.

سقراط:

يرى سقراط ان المعرفة الحقيقية توجد داخل الشخص ومن ثم على من يريد ان يعرف الحقيقة ان يناقش نفسه، ويعد سقراط اول من ذكر ما سمى بـ (اللاشعور) في علم النفس.

ارسطو:

من أهم اراء ارسطوا انه لم يؤمن بثنائية الجسم والروح بل قال انهما يكونان جوهراً واحداً وان الروح شيئاً مادياً بل انها مجموعة من الوظائف الحيوية للكائن الحي تتمثل:

١- الامتصاص والتغذية: وظيفتها المحافظة على بقاء الكائن الحي.

٢- الحس والحركة: ووظيفتها ارتباط الكائن الحي ببيئته.

٣- الشعور والتفكير: وهو ما يميز الانسان عن غيره من الكائنات الحية.

ب- مرحلة الفلسفة العربية الاسلامية :

ان التراث العربي الاسلامي يرفد بالكثير من الافكار والآراء في شتى ميادين العلم والمعرفة ومنها (علم النفس) اذ كان للآراء الفلاسفة العرب المسلمين الفضل الكبير فيما وصل اليه العلماء الغرب الذي فتحت امامهم ورؤى متعددة من خلال بحثهم وتعمقهم بدراسة الفكر العربي الاسلامي ، الا ان الميزة البارزة في آراء وافكار الفلاسفة العرب والمسلمين النفسية أنها لم تحصل على تقصي وتوضيح وتصنيف لذا فأننا سنركز على ابرز الآراء النفسية والتربوية عند مجموعة من العلماء البارزين موزعين على مراحل تاريخية ابتداء من منتصف القرن الرابع الهجري وحتى بداية القرن التاسع عشر ابتداء من ابن سينا وانتهاء بابن خلدون.

١- ابن سينا:

هو الشيخ ابو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا، وكلمة شيخ تعني الاستاذ وقد لقب بالرئيس لا نه اشتغل بالسياسة وشغل منصب الوزارة.

ابرز آراءه التربوية:

١- يرى ابن سينا الى جانب الفروق بين الكائنات الحية هناك فروقا فردية بين فرد واخر في سماته وخصائصه المختلفة ولابد للمربين مرعاه ذلك في عملية التعلم.

٢- الاستعدادات الفطرية : يشير ابن سينا الى ما يدفع الفرد الى اختيار فرع معين هو ما يتمتع به من استعدادات فطرية لا جل التعرف على اساس قياسها وتنميتها وتحويلها الى قدرات.

٣- الاخلاق المكتسبة : لقد اختلف العلماء فيما اذا كانت الاخلاق مكتسبة او موروثة ، الا ان ابن سينا كان له رايا هو الاكثر قبولا هو ان الاخلاق كلها الجميل منها والقبيح هي مكتسبة.

٢- الغزالي:

هو محمد بن احمد الغزالي وقد كنى بأبي حامد نسبة الى ولده حامد الذي توفي صغيراً ومن ابرز ارائه التربوية ما يأتي:

١- اثر كل من البيئة و الوراثة في شخصية الفرد: البيئة بما تحويه من مؤثرات اخلاقية وثقافية ودينية تساهم في بناء الشخصية والاستعدادات الموروثة والتي لا يمكن للتربية ازالتها ولكن يمكن توجيهها وتقليل اثارها السيئة او توظيفها بأفضل صيغة.

٢- الفروق الفردية: يرى الغزالي ان هذه الفروق تأتي بسبب البيئة او الوراثة ولابد من مراعاتها من بداية تعليم الاطفال.

٣- ان تكون مادة التعلم بمستوى المتعلم: اذ يرى الغزالي ان عدم تطبيق القاعدة سيضر بالمتعلم والمجتمع.

٣- ابن خلدون:

هو عبد الرحمن بن محمد وقد كني بأبي زيد نسبه الى ولده الاكبر كما لقب بولي الدين لا نه شغل منصب القضاء في مصر، آما التسمية بـ (ابن خلدون) فهي نسبة الى جده التاسع يعد ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع.

من اهم آرائه :

١- أكد على أهمية الحياه الاجتماعية والتعلم في نمو العقل وتطوره .

٢- لابن خلدون آراء ممتازة في الثواب والعقاب واكد ان للعقاب آثار سيئة في شخصية المتعلم.

٣- يرى ابن خلدون أن الالتجاء الى اختصار المعلومات اختصارا شديدا يجعلها صعبة الفهم على المتعلم ويؤثر على المتعلم ويؤثر في تحصيله.

٤- نادى ابن خلدون بضرورة الابتعاد عن تراكم المعلومات وتنوعها على المتعلم لما لها من اثر سلبي في تحصيل المتعلم وقد اكد على اهمية التخصص في العلم والمعرفة.

ج- الفلسفة الحديثة :

لقد ظهرت هذه المرحلة خلال عصر النهضة الاوربية وقد تميزت بالعديد من التطورات والتحولات شملت النظرة الفلسفية عن الروح والعقل وسلوك الانسان بصورة عامة وقد جاءت تلك التحولات على يد العديد من الفلاسفة منهم :

١- ديكارت:

أن أهم ما جاء به الفيلسوف الفرنسي (ديكارت) هو محاولة حل مشكلة العلاقة بين العقل والجسم وذلك ان الجسم من خصائصه الجوهرية الامتداد في المكان اي انه يشغل حيز من فراغ ، أما خاصية العقل فهي التفكير والشعور لذا فهما يختلفان ويتمايزان وليس بينهما اي ارتباط طبيعي انما الارتباط هو تفاعل ميكانيكي يجري في الغدة الصنوبرية في المخ.

جون لوك، هارنللي، هيوم:

جماعة من الفلاسفة الترابطيين مؤسس هذه الجماعة الفيلسوف الانكليزي(جون لوك) ومن اهم اراؤه التي كان يعتقد بها هو ان الانسان يولد وعقله صفحة بيضاء تنقش الخبرات الحسية عليها ما تريد.

وتجدر الاشارة الى ان اراء جون لوك واتباعه كانت الخطوة على طريق انفصال علم النفس عن الفلسفة.

٣- مرحلة ظهور علم النفس الحديث:

ان البداية الحقيقية لعلم النفس بالمعنى العلمي لم تكن الا في عام ١٨٧٩عندما اقدم (فونت) على انشاء اول مختبر لعلم النفس التجريبي في جامعة (لايبزيج) في المانيا لدراسة الظواهر النفسية، دراسة علمية منظمة باستخدام المنهج العلمي شأنه في ذلك شأن العلوم الطبيعية له اهداف ومجالات مختلفة.